مشكلات مصر الاجتماعية — ٢

تحسين الحالة

في الريف ومكمن النهوض (١)

لسعادة فؤاد اباظه باشا

استوقف موضوع الريف في المدة الاخيرة نظر المصلحين والباحثين والحكومات وأجمع الكل على ان شيئاً لا بدَّ ان يعمل. فما هي عاطفة رحمة فقط ولا نوع من الشفقة المطلقة ولكنها المصلحة القومية تدعونا الى السعي لاصلاح الريف حيث نرجو ان يؤدي التقدم فيه الى بناء حاجز منيع يحول دون تسرب المبادىء والمذاهب المتطرفة التي تشكو منها معظم الامم والتي اصبحت خطراً على كيان العمران ان لم نحسن معالجتها. وقد اختلفت الآراء في ما يلزم عمله في سبيل اصلاح حالة الفلاح — وعند ما أقول اصلاح حالة الفلاح أقصد اصلاح الريف أيضاً إذ يمكنه على الاقل احد عشر مليوناً من الستة عشر مليون مصري ومصرية يشتغلون بالفلاحة في الريف. وفي الريف ترتكز ثروتنا العقارية من زرع وضرع. وكل مصري الجنسية لا ترتبط بالريف رابطة القربى، ولا يمت الى أسرة من أسرة بصلة لا يمكن ان يكون مصرياً صميماً. فاذا تكلمنا عن احياء الريفية فنحن نتكلم عن مصالحنا ومصالح أسرنا وثرواتنا وحيث نرجو ان يؤدي التقدم الى تقدم الهيئة المصرية في مجموعها. وفي الوسع تلخيص العوامل الاساسية للاصلاح فيما يأتي

(١) — تحسين مكمن الفلاح (٢) — تحسين حالته الصحية (٣) — تحسين مستواه التعليمي (٤) — تحسين مياه الشرب (٥) — تحسين حالته المعيشية والاجتماعية والاقتصادية

ان جمع هذه النواحي من حياة الريف لا تدعو حالته في الوقت الحاضر الى الارتياح ولا تزال وجوه الاصلاح تتداولها المناحث الحكومية والاهلية. ويلزم لها تنظيم وسائل الارشاد الزراعي وتوجيه القائمين في دوائر مصلحة الفلاح وتعديل نظم الجمعيات التعاونية والمجالس الزراعية المحلية وغيرها من الانظمة بحيث تتمشى مع حاجة الفلاح وتلافيها. وقد نشأ عن النقص في كل ذلك زهد اهل الريف فيه وهجرتهم منه. وقد ربطت رابطة الاصلاح الاجتماعي مباحثها في شؤون الريف فكلف سعادة حسين هيكل باشا عضو مجلس ادارة الجمعية الزراعية الملكية

(١) نشرت هذه المقالة في جريدة الاهرام في عددها الصادر يوم ١٨ ابريل سنة ١٩٤٠

وعالج جلال فهم بدأ موضوع توزيع السكان في مناطق القطر المصري وما بذلته الحكومات الاخرى من سعي لتنمية الانتاج الزراعي وبحث محمد علي ناصر بك علاقات المالك والمستأجر. ثم يحاضره الدكتور عبد الواحد الوكيل بك في موضوع « الاصلاح الصحي ثم تليه الآنسة ابنة الشاطىء في موضوع « أو المرأة في الريف

وسأتناول انا موضوع مسكن الفلاح وسيبث : — فقد هال الجمعية الزراعية الملكية ما يكدره هذا الفلاح من عناء في عمله لا يجد بعده ما يعوّضهُ الراحة في منزله حتى بدأ يهجر الريف الى المدن لما يجده فيها من حياة سهلة تجذبه الى وارها ويخدعهُ زخرفها فرأت ان تأخذ بيده في هذه الناحية وان تعمل على اصلاح القرية وتحسينها فشيدت عزبة نموذجية بهتيم قريباً من محطة شبرا افتتحتها في نوفمبر سنة ١٩٣٤ وأطلقت عزبة اخرى روعيت فيها الشروط الصحية مع الاقتصاد في النفقات ليكون في مقدور الملاك إنشاء مثلها . ثم قامت بعمل ثالث وهو اصلاح قرية قديمة بقدر الامكان وبأقل التكاليف في احدى القرى القائمة على الاراضي الزراعية التي اشترتها الجمعية في بهتيم

وقد أنا ببناء عزبة خاصة لي على اساس تلك النظم في مركز منيا القمح في مديرية الشرقية وكلها تحوم حول تكليف دار الفلاح خمسة وعشرين جنيهاً على أسس صحية ونظيفة تتخللها الطرقات وبسودها حسن المظهر . واني أوجه النظر الى ماوصلت اليه من نتيجة المباحث الكثيرة وهو ان العامل الاساسي في سوء حالة الريف هي قلة المال لاصلاحه

لذلك يجب ان تتجه في اصلاحه الى اقل التكاليف الممكنة وقد خرجت من ذلك بالنصح بالبناء بالطوب النيء — فالبناء به يوفر خمسة اسداس الكلفة

ومن دواعي سروري اني شاهدت بنفسي في ولايتي كاليفورنيا واريزونا في صيف العام الماضي بيوت الفلاحين وبعض مكاتب وزارة الزراعة نفسها وطائفة من الفنادق في المدن بنيت ايضاً بالطوب النيء ونجحت نجاحاً باهراً لما تتصف به هذه المنازل من توفير برودة الجو داخلها في هاتين الولايتين في اثناء الصيف . فالشابهة بينهما وبين مصر كبيرة من وجوه متعددة لما فيها من الصحاري والجبال والري وزراعة القطن وحرارة الجو وزراعة النخيل الخ . فكل ذلك مصداقاً لوجهة نظري من سنوات في تفضيل الطوب النيء في بناء الغرب والريف في وجه القبلي وما يريد عن النصف الجنوبي من الوجه البحري علاوة على ما ينشأ عن ذلك من توفير التكاليف فيها لو بنيت من الحجر او الاسمنت المسلح والطوب الاحمر

ومن رأيي بصفة تقريبية ومبدئياً ان يبدأ الخط الفاصل بين مباني الطوب الاحمر والطوب الاخضر (النيء) من القناطر على فرع السويس مروراً بجنوب بلدة شبرا بالشرقية والسلام بن لدنهابة ويجري عدة روح بالغربية ويجري ابتداء البارود بالبحيرة الى ابو المطامير)

وقد يكون من الطريف ان اروي ان البناء بالطوب النيء في كاليفورنيا وما يجاورها يسمى طريقة ادوبي وبالبحث والتنقيب وجدت ان هذه الكلمة وردت من اسبانيا الى اميركا وسماها الطوب النيء او بعبارة اخرى هي اللفظة الغربة للطوب كما كان يسميه العرب من اهل الاندلس نقلت بالاسبانية الى اميركا كما هي

ويجب ان ندرس موضوع البناء بالطوب النيء دراسة عملية مؤسسة على الظروف والعادات والواقع والامكان التنفيذ اما اذا اطلقنا لخيالنا العنان وطلبنا الملايين من الجنيهات لاصلاح المساكن في الريف فاننا لا نجدها ، وبالتالي ستبقى مساكن الفلاح على ما هي عليه من السوء الى ما شاء الله كما كانت من آلاف السنين اما اذا عالجناها على ما هو في حدود المتناول والامكان من وجهة المصاريف فني وسعنا ان نعمل شيئاً بدلاً من ان نقف جامدين

لذلك رأيت ان ابحث بساطة البناء بالطين من الوجهة الفنية والهندسية فاتصلت بحضرة صاحب العزة المهندس القدير مصطفى فهمي بك بصفته مهندس جمعية الزراعيه الذي وضع تصميمات مباني الجمعية للمعارض والمزرعة الخ وأشرف على عملية البناء وعلى اتصال عملي مستمر بجهود الجمعية في هذا السبيل فجاءني من عزته الخطاب الآتي بتاريخ ٢ ابريل سنة ١٩٤٠

«يتشرف بأن يرد لسعادتكم ملف مستندات الطوب النيء الذي تكرمتم بتسليمه لنا للاطلاع عليه وابداء الرأي فيه . ولا يسعنا الا التنويه بتقدم وتطور استعمال الطوب النيء في اميركا ولا شك ان هذا النوع من المباني له اهمية لا تبدو لاول وهلة . مما يستحق كل درس وتجارب قبل الحكم عليه

«وقد لاحظت من المستندات التي احضرتموها سعادتكم من اميركا ومن نشرات جامعتي كاليفورنيا وكولورادو ان هناك مؤلفات عديدة عن هذا النوع من المباني وانه يستعمل في هاتين المقاطعتين بكثرة لا للمباني الزراعية فقط بل لمباني السكن ايضاً في القرى والمدن مع توفير ما لجميع الشروط الصحية والانشائية اللازمة وفي بلي يمكن استخلاصه بدقيق في هذا النوع :

«ان مباني الطوب النيء التي لا تستعمل في مصر الا في المخازن الريفية والمخازن والمباني الزراعية تصنع بدائي جداً بحيث لا تتوفر فيها جميع الشروط الصحية والانشائية اللازمة خصوصاً ما كان منها للسكن . ولا شك ان ذلك راجع لعدم توجيه الاهتمام بهذا النوع من المباني خصوصاً من الوجهتين الفنيين . ولو أدت الدراسة والابحاث الى نتائج تعادل النتائج التي وصلت اليها اميركا حتى ولو ادى ذلك لزيادة التكاليف قليلاً في مقابل تحسين المباني من الوجهة الصحية والانشائية . وقد عالجوا في اميركا ذلك بعمل اساسات خرسانية وصفة عازلة للرطوبة واستعمال مادة عازلة للحرارة سواء من الخشب او الحديد وبياض بحوائط من الداخل بجميع اشكاله وبياض بالخارج . فلو قام المهندس القائم بالطوب النيء ودقق في البحث عما ورد في هذه حديثاً

لتطبيقه في مصر بما يتمشى مع المقتضيات المحلية . وهناك نقطتان هامتان في هذا الموضوع :—

«اولاً — هل معدن الطوب التي في اميركا يماثل او يشابه معدن الطوب التيء في مصر ويمكن معرفة ذلك بالاتصال باحدى جامعات اميركا مثل جامعة كاليفورنيا او كولورادو والسؤال عن التحليل الكيماوي والميكانيكي لتربة الارض التي يصنع منها الطوب التيء هناك . ويسهل نفس هذا التحليل في المعمل الكيماوي في مصر لتربة من ارض الجمعية الزراعية ببهتيم مثلاً ومن جهة اخرى مثل اوراق التي يكثر بها قالبن الطوب الاحمر . وربما حتى لو وجد فرق يمكن تلافيه باضافة مواد او ما يشابه ذلك

«ثانياً — ربما كان سبب انتشار مباني الطوب التيء في اميركا راجع لغلو الايدي العاملة ومواد البناء الاخرى بعكس الحاصل في مصر من رخص الايدي العاملة ومواد البناء

«وقد سبق ان قامت الجمعية ببناء عزبة بهتيم بالطوب الاحمر واخرى مماثلة لها بالطوب التيء وبلغت مصاريف الثانية سدس الاولى . ولكن يلاحظ ان العزبة الثانية لا يتوفر فيها ما توفر في الاولى من الوجهة الصحية والانشائية من عمل اساسات واسقف متينة وطبقة عازلة للرطوبة وبياض داخلي وخارجي يجعل الطوب التيء يقاوم المؤثرات الجوية ولا يساعد على نمو الحشرات به ويجعل حياة المبنى معادلة لمثيله بالطوب الاحمر . كما هو الحال في اميركا

«فهل لو ادخلت هذه التحسينات تزيد تكاليف الطوب التيء عما يقارب الاحمر او تبقى اقل بدرجة محسوسة . فلو امكن جعل مباني الطوب التيء تتوفر فيها الشروط الصحية والانشائية كما بالطوب الاحمر حتى ولو زادت التكاليف الى ان صارت ربع او ثلث تكاليف الطوب الاحمر بدلاً من السدس لكان ذلك نتيجة باهرة ولأمكن استعمال الطوب التيء في جميع جهات القطر الرطبة والممطرة ولمختلف الاغراض سواء للمباني الزراعية او لمباني السكن

«واني انتهز هذه الفرصة لأذكر لسعادتكم ان من اهم مشكلات الطوب التيء صعوبة نقله لسهولة تفتته وتلفه وكذلك نرى اهالي القرى يحفرون الارض حول قراهم لعمل الطوب التيء مما يسبب وجود الترب والمستنقعات خصوصاً في الوجه البحري لقرب منسوب مياه الرشح من سطح الارض . اما الطوب الاحمر فان الفلاح تكون بجوار الترع والمصارف لاخذ الطينة منها ثم ينقل بعد جرفها لموقع البناء . وهذه المشكلة مرتبطة بمباني الطوب التيء ويستدعي بحثها ايضاً

«وختاماً تمنى لسعادتكم التوفيق في بحث ودرس هذا الموضوع والوصول لنتائج حاسمة قد تغير من حياة الفلاح ومظاهر الريف المصري وان تحاط هذه الفكرة الصائبة بكون لسعادتكم الفضل فيها»

والخلاصة ان من العوامل الهامة في تحسين الحالة في الريف هو اعداد المسكن الصالح للفلاح بأرخص التكاليف وان جواب التفكير في الاصلاحات التي تعتموها وتقسموها عن الريف من وجهاته الصحية والتعليمية والاجتماعية وغيرها تفسد نتائجها اذا ظلت المساكن فاسدة الوضع على حالتها الراهنة ومن رأيي ان نسير كلها معاً جنباً الى جنب ومنا الله جميعاً الى الصواب